

الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي -3

شروط الخلاص بدم المسيح

المعمودية

أهمية المعمودية للخلاص

تظهر أهمية المعمودية من قول السيد المسيح لنيقوديموس "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ" (يو: 3). وقد شرح معنى هذه الولادة، فأجاب على سؤال نيقوديموس بقوله "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (يو: 3: 5).

وهذه أية صريحة تعني أنه بدون المعمودية لا يقدر الإنسان أن يدخل إلى الملكوت، ولا يقدر أن يعاينه. وبهذا يكون الخلاص عن طريق المعمودية التي يمهد لها الإيمان.

وهكذا قال السيد المسيح "مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ" (مر: 16: 16). عندما أرسل تلاميذه قال لهم "فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ" (مت: 28: 19، 20). وهذه الآية تدل على أن الخلاص يلزمه الإيمان الذي يأتي بالتلمذة، والمعمودية التي هي الباب المباشر، والأعمال الصالحة بحفظ الوصايا. فلو كانت المعمودية غير لازمة للخلاص، لكان يكفي أن يقول الرب لتلاميذه: "اذهبوا وبشروا بالإيمان" دون ذكر للمعمودية...

ومعلمنا بولس الرسول يشرح كيف أن الخلاص يكون بالمعمودية، وكيف أنها هي الميلاد الثاني، بقوله "وَلَكِنْ حِينَ طَهَّرَ لُطْفٌ مُخْلِصًا اللَّهُ وَإِحْسَانُهُ، لَا بِأَعْمَالٍ فِي بَرِّ عَمَلَاتِهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَصْنَا بِغُسْلِ الْمِيلَادِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (تي: 3: 4، 5).

ممارسة المعمودية منذ البدء

هذا المبدأ الذي أسسه السيد المسيح "مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ" اتبعته الكنيسة منذ البدء ففي يوم الخمسين بعد أن وقف بطرس الرسول رافعاً صوته بكلمة الإيمان، ونخس السامعون في قلوبهم، "قَالَ لَهُمْ بَطْرُسُ: تَوُبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِعُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (أع: 2: 27، 28). وهذه الآية صريحة في أنه يكون بالمعمودية مغفرة الخطايا. وكيف يخلص الإنسان بدون مغفرة خطاياه؟! إذن فالمعمودية لازمة لخلاص الإنسان، فيها تغفر خطاياه. وبها يمهد لقبول الروح القدس.

وعطية الروح القدس، ننالها في السر الثاني من أسرار الكنيسة، سر المسحة المقدسة، الميرون. والآية السابقة تدل على هذه المعاني كلها.

في يوم الخمسين بعد أن تكلم بطرس عن المعمودية "قِيلُوا كَلَامَهُ يَفْرَحْ، وَاعْتَمِدُوا، وَأَنْصَمَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَحْنُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ نَفْسٍ".

فلو كان الإيمان وحده يخلص الإنسان ماذا كانت الحاجة إلى أن يعتمد في يوم واحد 3000 نفس؟! ما كان أسهل أن يقول لهم الرسل: "ما دمتم قد آمنتم أيها الأخوة، فاذهبوا على بركة الله، لقد خلصتم هذا يكفي.

نرى أيضاً أن الخصي الحبشي بعد أن آمن على يد فيلبس، قاله له مباشرة " مَاذَا يَمْنَعُ أَنْ أَعْتَمِدَ؟" (أع: 8: 36) فنزل به إلى الماء فعمده.. وذهب في طريقة فرحاً.

وسجان فيلبي الذي آمن على يدي بولس وسيلا "اعْتَمَدَ فِي الْحَالِ هُوَ وَالَّذِينَ لَهُ أَجْمَعُونَ" كرنيليوس أيضاً الذي ظهر له ملاك الله، وقال له صلواتك وصدقاتك صعدت تذكراً أمام الله، هو أيضاً بعد أن كلمة بطرس بكلمة الله، وبعد أن حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة "أَجَابَ بَطْرُسُ: أَتَرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لَا يَعْْتَمِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قِيلُوا الرُّوحُ الْقُدُسُ كَمَا نَحْنُ أَيْضًا؟ وَأَمَرَ أَنْ يَعْْتَمِدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ" (أع: 10: 47، 49، أع: 16: 33).

وليديا بائعة الأرحوان، لما آمنت على يد بولس الرسول "اعْتَمَدَتْ هِيَ وَأَهْلُ بَيْتِهَا" (أع: 16: 15).

جميلة تلك العبارة التي قالها بولس الرسول عن العماد "لَأَنَّ كُلَّكُمْ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ" (غل: 3: 27). إذن في المعمودية يلبس الإنسان المسيح. أي أن المعمودية هي الباب الذي يدخل منه الإنسان إلى الخلاص، والإيمان تمهيد لها.

نقول هذا لأن كثيرًا من البروتستانت يظنون أن الإنسان يكفيه إيمانه ليخلصه...! أو يظنون أن الميلاد الثاني يأتي بالإيمان وليس بالمعمودية! **لا يرون أن المعمودية هي الميلاد الثاني، على الرغم من صراحة الآية "يُغْسَلُ الْمِيلَادِ الثَّانِي" (تي3:5)!!**

وأيضًا على الرغم من قول الرسول عن الكنيسة، "لِكَيْ يُقَدِّسَهَا، مُطَهِّرًا إِبَّانَهَا يَغْسِلُ الْمَاءِ بِالْكَلِمَةِ، لِكَيْ يُخَضِّرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَّحِيَّةً، لَا دَنَسَ فِيهَا" (أف5: 26، 27).

"لكي يقدسها مطهرًا إياها بغسل الماء بالكلمة".. البروتستانت ومن إليهم يدعون أن هذه العبارة معناها يقدسها بالكلمة! تاركين عبارة غسل الماء كأن لا معنى لها.

إن "الكلمة" هنا تعني التبشير، فماذا تعني عبارة "غسل الماء"؟ تعني المعمودية التي يصل إليها الإنسان بالتبشير أي بالكلمة. وهكذا تنطبق وصية السيد المسيح "تلمذوهم... وعمدوهم..." "تلمذوهم" بالكلمة. "وعمدوهم" بغسل الماء